

الهَيْمَنَةُ الْإِسْتِعْمَارِيَّةُ وَمَيْكَانِيَّاتِ الْعَوْلَمَةِ  
مَدْخَلُ أَنْثْرُوبُولُوجِيٍّ

**Colonialization Entropy and  
Globalization Mechanisms  
Anthropological Locus**

م.د. عَبْدُ الْوَهَّابِ خَزَعَلْ عَبْدُ الْبَاقِي

الجامعة المستنصرية . كلية الآداب

قسم الأنثروبولوجيا التطبيقية

**Lecturer. Dr. Abdulwahab K. Abdulbaqi**

Department of Applied Anthropology

College of Arts

AL-Mustansiriya University

khaza125@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research



## ملخص البحث

تسلّم هذه الدراسة بوصف العولمة تسمية ملطّفة للهيمنة الاستعمارية بأشكالها الجديدة، التي تشرعن الانقياد لسياساتها عبر مؤسساتها عابرة القارات، متخذة من أهدافها المعلنة من مثل (حقوق الانسان، الديمقراطية، حق تقرير المصير، وما يشاكلها) سبلا لبلوغ اهدافها الخفية في تسيير الكيانات السياسية بأنماطها المختلفة نحو التحكم بها بكل ما لها من مقومات، مادية كانت أو معنوية، والفارقة بين الهيمنة الاستعمارية فيما كانت عليه عبر العصور وما هي عليه الآن باتخاذها (العولمة) نظاما يتلخص بالتحول من الإخضاع المباشر والمعلن تحت أي مبرر بالقوة العسكرية إلى الإخضاع غير المباشر.

والعولمة أو الكوننة بهذا المعنى عملية تاريخية تحكم تفاعلاتها مجموعة من القيم لدولٍ عظمى في النظام العالمي) من أبرزها الولايات المتحدة الأمريكية التي تسعى إلى تسيير نموذجه الحضاري في الاقتصاد (حيث آلية السوق وحرية التجارة هي المبادئ الأساسية) وفي السياسة (حيث تبرز شعارات الديمقراطية وحقوق الإنسان)، وفي الثقافة (حيث يتم التركيز على الفردية وحرية الإنسان) أي ان عمل وتأثير الكوننة تهيمش البنى التقليدية وتغريب الإنسان فيها لذلك فقد ورد في كثير من الأقوال (أمركة) إشارة إلى الهيمنة الأمريكية والتي أخذت هذا النمط أو الخط سعيًا وراء الهيمنة والسيطرة العالمية وهناك من يستخدم مفهوم (النظام الدولي، النظام العالمي، الوضع أو الترتيب العالمي أو الدولي، علاقات دولية، علاقات أممية، التدويل، العالمية، الكونية، الكوكبية، الأممية، المجتمع الدولي).

وهناك من يستخدم مفاهيم تدل على انتقال الظواهر الدولية من حال إلى حال آخر باستخدام (ما بعد) مثل (ما بعد الصناعي، ما بعد الحداثة، ما بعد القومية، ما بعد المجتمع العلماني، ما بعد الحرب الباردة، ما بعد المادية، ما بعد الايديولوجية، ما بعد التأريخ).

وهناك من يستخدم (ما بين) كالقول بتحول العلاقات الدولية من مرحلة (ما بين الدول) إلى مرحلة (ما بين الأمم) وهناك من يستخدم (عبر أو عابر أو متعددة) مثل (عبر القارات، عابر للقوميات، عابر للإقليمية، فوق القوميات، متعددة الجنسيات) وهناك من يستخدم عبارة (متعددة) مثل (تعدد الأعراق، القوميات، الأديان، الثقافات، اللغات، متعددة الجنسيات).

ان ظاهرة ضعف نظام الدولة القومية في العالم وانتشار التيارات المطالبة بالحرية والديمقراطية هي المؤشر الحقيقي على عصر العولمة، ومن مؤشرات (عصر العولمة) السياسية والاجتماعية مثلاً انتشار الجريمة المنظمة والجرائم الحديثة والفساد الإداري وجرائم المخدرات والعنف والإرهاب والانحلال الخلقي، وضعف قدرة النظام الداخلي على الإمساك بزمام الأمور بالدولة أي انهيار الدولة القومية وأزمة المديونية للعديد من المجتمعات النامية وارتفاع معدلات الهجرة وازدياد عدد من هم تحت خط الفقر... الخ، هي من مؤشرات عصر العولمة.

وعلى الرغم من ان دعاة العولمة يرحبون بزوال الحدود القومية ويعملون على إنهاء الدولة القومية والحد من الإغراق في الخصوصية الثقافية والمحلية، إلا أنهم يصطدمون بوجود قوتين متعارضتين هما (التوحد والتجزؤ) فبينما يتوجه الاقتصاد إلى التوحد، فإن السياسة تتجه إلى المزيد من التفتت مع نمو الوعي العرقي والنزاعات الإثنية، وهنا يأتي دور الأنثروبولوجيا الثقافية للوقوف على صيرورات

العولمة ولاسيما الثقافية ومؤدياتها المتعددة. ويأتي هذا المدخل الأثروبولوجي ليفكك أبرز المقولات بهذا الخصوص ركونا إلى عدد من المنظرين في مختلف الحقول المعرفية، مع التركيز على أبرز أعلام الأثروبولوجيا في موضوعتنا هما جيرار ليكرك وقيس النوري لتغاير انتهاهما الثقافي (شمال / جنوب)، وحياديتها المنهجية الصرفة، وانسلاخهما عن هوية الأثروبولوجيا الكلاسيكية الموصومة بتكريس اشتغالاتها لصالح القوى العظمى.

## ABSTRACT

Concepts in the social sciences run into controversy as the cultural sources pertain to the norms of the society .Although the social sciences revert into the natural sciences in tackling some terms; adaptation and interaction; to be more scientific, they cull some shrifts to sever the researcher from the research paper. The concepts take shape of the region in which they are employed, the world bifurcated into north and south that is why there should be a difference in the use of such concepts; for instance free values, colonialization, globalization, civilization and urbanization. The aspects of globalization surge into light as a necessity to guide the world into social welfare or it is a form of colonialization reviving in another vesture.

The current study endeavours to answer such an inquiry in light of both colonialization and globalization anthropologically. It depends upon some great anthropological figures; Prof. Dr. Qis Al-Nori and GeranLekeric as they represent the north.

... مقدمة ...

تظل مسألة نسبية المفاهيم في العلوم الاجتماعية قائمة ما دامت مرهونة بنسبية مصدريتها الثقافية من حيث ارتباط أحكامها بمعايير Norms ثقافية تخضع إلى القيم الأساسية Basic Values التي تعكس غاياتها، ولا شك في خضوع المعايير إلى التعديل والتغيير بما يتواءم وتوجهات ثقافية يعينها تحددها القوى الاجتماعية من حيث هي كل مرهون بالتغيير الاجتماعي Social Change.

وعلى الرغم من ركون العلوم الاجتماعية إلى العلوم الطبيعية في كثير من بناءاتها الاصطلاحية مثل التكيف Adaptation، والتفاعل Interaction و النواة Nuclear... وغيرها مما يشوب خصوصيتها المنهجية بوصفها محاكاة قصدت الدقة والضبط التجريبي الذي تتسم به العلوم الطبيعية؛ إلا إنها تمكنت من تحقيق نسبة من الضبط العلمي على الرغم من صعوبة الفصل الموضوعي بين (الباحث) و(مادة البحث) ولكن الإشكالية المفاهيمية كبيرة في تلك المصطلحات Terms المنحوتة ثقافياً Culturally بحكم عدم توافق أحكامها انطلاقاً من بديهية (الاختلاف الثقافي)؛ وإذا كان هذا الاختلاف واقعاً قائماً في الثقافة الواحدة (ثقافات فرعية) Sub-Cultures فمن البديهي أن يكون أكبر بكثير بين الثقافات المتغايرة.

وإذا سلمنا - جِدلاً - بانقسام العالم إلى (شمال) و(جنوب) فلا ريب في وجود تباين جلي بين الباحثين في العلوم الاجتماعية في الاتفاق على ما تعنيه اصطلاحات معينة إذا ما كانت خاضعة لأحكام متحررة قيمياً Free Values ومنها (الاستعمار) Colonization والعولمة Globalization وهما محورا دراستنا هذه، ومن الطبيعي أن

يكون ثمة انحياز (مبرر) ينظر إلى (ضرورة) استعمار الآخر (الأدنى) انطلاقاً من (مبررات) كالتحضر Urbanization والتمدن Civilization وغير ذلك بمقابل دعوة المفكر القائل بضرورة التحرر Liberty والاستقلال وغير ذلك، وهذا لا يمنع من وجود دعوات محدودة تبرر ضرورة استعمار بلدانها كما هو الحال -على سبيل المثال- دعوة الأنثروبولوجست الكيني علي مزروعي القائلة بضرورة استعمار إفريقيا لأن الشعوب الإفريقية غير قادرة على إدارة نفسها، ومن الطبيعي أن تعد هذه الدعوة (خيانة وطنية) بالنسبة لثقافته و(تفكيراً علمياً) بالنسبة للثقافات (الشمالية).

وببروز العولمة واقعاً مثيراً للجدل الفكري تغيرت وجهات النظر بخصوصها من حيث كونها ضرورة إنسانية عالمية تقود إلى السلام العالمي والرفاه الاجتماعي أو أنها نمط من الاستعمار عاد بشكل جديد.

وتحاول دراستنا هذه الإجابة عن هذا التساؤل فضلاً عن النظر في أطروحات محورها هذان المفهومان (الاستعمار) (العولمة) بمقاربة انثروبولوجية، وقد تم انتقاء اثنين من كبار الأنثروبولوجيين الذين نظروا فيهما أولهما محلي وهو الأستاذ الدكتور قيس النوري والآخر جيرار ليكرك بوصفه يمثل الآخر (الشمالي) محاولين بيان مدى موضوعية النظر انثروبولوجياً في موضوعة هذه الدراسة بحكم التداخل المتناظر بين ما هو اجتماعي وسياسي واقتصادي وديني...، وكل من هذه الأصعدة قد يتناهى أو يتدانى بحسب محدداته الذاتية أو الموضوعية.



## المحور الأول

### الاستعمار

## Colonialism

الاستعمار لغةً: من الفعل (عَمَرَ) اي تعمير منطقة ما بالزراعة والصناعة والاستقرار فيها ولم ترد كلمة (استعمار) في المعجمات الأساسية بل هي مشتقة من مادة (العمر) و(العمران) وقد اكتسبت الكلمة دلالة جديدة في العصر الحديث فصارت تعني استغلال ثروات الشعوب الضعيفة (١: ص ٢٩-ص ٣٠).

ويحدد مجموعة من الباحثين المعنى ببسط السيادة والنفوذ الاقتصادي والسياسي من دولة أو أكثر على دولة أو أكثر باعتماد الغزو العسكري. وكانت المستعمرات يتم غزوها في العالم القديم حيث تستخدم لتوفير الموارد البشرية أي نظام (الرق والعبودية) وهي ظاهرة يمكن ان نلاحظها على امتداد التاريخ الإنساني حيث أصبح له معنى أكثر تحديداً وتطوراً من خلال أعمال (لينين) وغيره من المفكرين الماركسيين وطبقاً لنظرية لينين فإن الإمبريالية تعد أعلى مرحلة من مراحل تطور الرأسمالية الاحتكارية (١٩١٥) إذ تسعى في هذه المرحلة إلى إقامة مستعمرات لها في أي جزء من أجزاء العالم المتخلف أو النامي تعمل على استمرار نظامه الرأسمالي إذ تمدّه تلك المستعمرات بالمواد الخام بأسعار منخفضة وتصبح سوقاً لتصريف البضائع ولتصدير رأس المال إليها والحفاظ على الطبقة الرأسمالية داخل المجتمع من طريق الاستغلال الاستعماري، وهناك مصطلح الإمبريالية الجديدة مثل

مصطلح الاستعمار الجديد للإشارة إلى الاستراتيجيات الجديدة التي تتبناها الدول الصناعية لكي تمارس هيمنتها السياسية والاقتصادية على دول العالم الثالث ذلك في ظل الظروف التاريخية الجديدة دون الرجوع إلى تبني الاستراتيجيات للإمبريالية القديمة (٢: ص ٨٨).

يقول مونتسكيو في كتابه المعروف (روح القوانين): «إذا طلب مني ان أدافع عن حقنا المكتسب لاتخاذ الزنوج عبيداً فاني أقول إن شعوب أوروبا بعد ان أفنت سكان أمريكا الأصليين، لم تبدأ من أن تستعبد شعوب أفريقية لكي تستخدمها في استغلال هذه الأقطار الفسيحة، وان الشعوب المذكورة ما هي إلا جماعات سوداء البشرة من أخصص القدم إلى قمة الرأس وانفها أفتس فطساً شنيعاً بحيث يكاد يكون من المستحيل ان ترثي لها، ولا يمكن للمرء أن يتصور ان الله - وهو ذو الحكمة السامية - قد وضع روحاً -وعلى الأخص روحاً طيبة- في داخل جسم حالك السواد...».

إن عبارة مونتسكيو ليست مبنية على مجرد السخرية فالإشارة إلى أن الشعوب السوداء أو الحمراء لا روح لها قد كانت مظهراً من مظاهر الاستعمار الأوربي الحديث في أوائل عهده، ورجال الدين أنفسهم لم يتورعوا عن مثل هذه التزعات، وقد كان قادة الدين في مراحل الاستعمار الأولى بأمريكا الشمالية يشيرون إلى الهنود الحمر (بأنهم من سلالة الشيطان) وكانوا يأمرؤن بالقضاء عليهم بمختلف الوسائل ومنها ان تنشر بينهم الأمراض التي ليس للأمريكيين الأصليين تلك المناعة منها ومن أهمها (مرض الحصبة) فكانوا يوصون بان يتمكن الهنود الأمريكيون من الحصول على الأغذية التي كان يتغذى بها المصابون بالحصبة وكانوا يرون أن هذا الإجراء يتفق تماماً مع الدين (١: ص ٣١).

ويمكن القول إن الاستعمار يعني «العمل أو مجموعة الأعمال التي من شأنها السيطرة أو بسط النفوذ بواسطة دولة أو جماعة منظمة على مساحة من الأرض لم تكن تابعة لهم، أو على سكان تلك الأرض أو على الأرض والسكان في آن واحد». وقد تكون تلك الأعمال عبارة عن استخدام القوة الحربية - وهذا ما يستخدم غالباً - أو قد تحدث السيطرة على الأرض بشرائها «كما اشترت الولايات المتحدة ألاسكا من روسيا» أو تحدث بمزيج من القوة والشراء كما اشترت جزر الفلبين من إسبانيا، وقد تحدث السيطرة برضى الدولة نفسها، وحصلت بريطانيا على جزيرة قبرص من الدولة العثمانية مقابل خدمات خاصة، وعبارة السيطرة أو النفوذ ليس من الضروري ان تتسلط الدولة على جميع مرافق البلاد بل قد يكفي أن يكون لها نفوذ سياسي جزئي، والنصر على الدولة أو جماعة منظمة أريد به أن يشمل الاستعمار تلك الشركات التي تألفت في العصور الحديثة وقامت بأعمال استعمارية عنيفة دون ان يكون للدولة شأن في ذلك سوى الإذن بتأليف الشركة، والإشارة إلى ان التسلط يقع على الأرض فقط أي على بلاد خالية من السكان مثل استيلاء البريطانيين على جزيرة سانت هيلانة، وهل يدخل في هذا التعريف النفوذ الاقتصادي والثقافي فالإجابة بنعم لان دخول رأس المال الأجنبي في أي صورة من الصور هو ضرب من الاستعمار الاقتصادي لان له تبعات لنفوذ سياسي حتى لو أدى إلى استخدام الآلاف من الأيدي العاملة الوطنية وإن المشروعات الثقافية كالمعاهد الثقافية التي أنشأتها فرنسا هي مظهر من مظاهر الاستعمار إذا ما أرادت فرنسا أن تجعل من وجود تلك المعاهد الثقافية أو البعثات العلمية أو الدينية ذريعة تتذرع بها لبسط سلطانها السياسي (١: ص ٣٢-٣٦).

غير أن هنالك فروقاً جوهرية بين الاستعمار القديم والحديث التي سنحاول فيما يلي إظهار تلك الفروق الأساسية بين الطرازين القديم والحديث:

١. لم يكن الاستعمار في العهود القديمة عملاً تقوم به الدول ذات الحضارة المتقدمة وحدها بل القبائل والجماعات -الذين هم أقرب إلى الوحشية- إذ لهم من القوة الحربية ما مكنهم من السيطرة أما الدول الاستعمارية اليوم فإنها بوجه عام قد وجهت أعمالها الاستعمارية نحو بلاد في حالة ضعف سياسي أو تأخر اقتصادي وثقافي، وانفردت به الأقطار المتقدمة صاحبة الشأن الأعلى في التطور السياسي والمالي والحربي.
٢. إن التوسع الاستعماري الحديث قد شمل العالم كله ولم تعد المسافات الشاسعة والمحيطات الواسعة عائقاً أمام مخالب الاستعمار وقد ترتب على هذا التوسع في الميدان الاستعماري ان أصبحت الدول أو الإمبراطوريات الحديثة عبارة عن أقطار مبعثرة في أركان الأرض لا بوصفها كتلة مندمجة كما كانت الدول والإمبراطوريات القديمة، وان الفضل في هذا يرجع إلى الكشف عن جميع الأقطار المجهولة والى سهولة الانتقال وسرعته بوساطة المبتكرات الحديثة.
٣. ولعل من أهم الفروق بين الاستعمار القديم والحديث هو أن التوسع القديم كان من عمل الحاكم الأعلى للدولة سواءً أكان ملكاً أم سلطاناً أو غير ذلك أما الاستعمار الحديث فهو ليس من صنع احد بل هو من صنع الشعوب نفسها فصاحب الشأن هو الشعب البريطاني أو الشعب الفرنسي فهو يتحدث عن مستعمراته وممتلكاته بشيء من الزهو والخيلاء.
٤. ومن الظاهرات المهمة في الاستعمار الحديث أنه ليس من الضروري أن تقوم به الدولة بنفسها بل كثيراً ما يتجسد الاستعمار في صور مجموعة أفراد أو شركات على اختلاف أنواعها.

وهكذا نرى أن أهم ما تمتاز به الحركة الاستعمارية الجديدة ان الدولة لا تنهض بأعمال الاستعمار نفسها، بل قد يسبقها أو يشاركها مجموعة من الأفراد أو الشركات، وأن النظام الديمقراطي يجعل الشعب هو المرجع الأول في سياسة الدولة الاستعمارية، لذلك لا بد للدولة من تربية العقلية الاستعمارية وتوجيهها لدى أفراد الشعب قدر الإمكان (١: ص ٣٦- ص ٤٠).

أما الاستعمار اصطلاحاً: فهو حركة سياسية عسكرية ظهرت في أوروبا في القرن الخامس عشر لتتوسع إبان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مع نمو الثورة الصناعية استهدفت الشعوب والبلدان الضعيفة (٣: ص ١).

والاستعمار أيضاً شكل محدد من أشكال الإمبريالية يتم عند قيام دولة قوية بضم أقاليم أخرى إليها وتعرف هذه الأقاليم بوضوح بأنها أقاليم تابعة. وفي الأقاليم تحل السلطات الاستعمارية محل المؤسسات أو السلطات الحكومية المحلية (الحكم المباشر)، أو قد يتم إدماج هذه الأقاليم ضمن بناء القوة الاستعمارية (الحكم غير المباشر) ويعد الاستعمار نتاجاً للحاجة إلى التوسع الإقليمي وهي الحاجة الناجمة عن الضغوط الاقتصادية في داخل الدولة المستعمرة والتي تحث على البحث عن أسواق جديدة، وموارد جديدة، وعن الربح وفائض القيمة - وهكذا لا ينفصم تاريخ الاستعمار عن تاريخ نمو وتطور نظام الاقتصاد العالمي - فقد بدأ الاستعمار الأوربي خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر بتصدير النمط الإقطاعي الذي هو من النظم (الاجتماعية والاقتصادية والثقافية) إلى الدول المستعمرة أي إلى الأقاليم التابعة لها مثل سيطرة إسبانيا والبرتغال على أمريكا الجنوبية والتي استمرت حتى القرن التاسع عشر والقرن العشرين (٤: ص ٩٠).

وكان لقيام الثورة الصناعية في أوروبا حوالي منتصف القرن الثامن عشر أثره في ظهور حركة الاستعمار الأوربي وانتشارها بسرعة كبيرة فقد تضاعف عدد المصانع بشكل كبير، وتدفقت السلع الرخيصة، فكان لا بد من إيجاد أسواق لتصريفها، فضلاً عن الحصول على المواد الأولية التي تدخل في العمليات الإنتاجية ومن هنا فكر الأوربيون بالسيطرة على الأقطار الضعيفة خارج قارتهم، لاسيما في آسيا وأفريقيا وفي هذا الصدد يذكر «جون فيري» رئيس وزراء فرنسا في نهاية القرن التاسع عشر أن (شعوب أوروبا تطمع في الاستيلاء على مستعمرات لأغراض ثلاثة، هي الطمع في خاماتها والاستحواذ على أسواقها لبيع ما تحتاجه من مصنوعات لاستثمار رؤوس الأموال الفائضة والإفادة من موقعه السوقي) وقد قدر للوطن العربي أن يكون مسرحاً للنشاط والتنافس الاستعماري الأوربي، شأنه من ذلك شأن بقية الأقطار الآسيوية والأفريقية (٢: ص ٩٠).

## المحور الثاني

### العولمة

يقول دوبريه: «إن العالم يزداد تشرذماً بازدياد وتائر توحيده» وأن الشعار الغربي المعلن (جيران في عالم واحد Our Global Neighborhood) هو شعار توثيقي لنظام جديد أخذ في دور التشكل ترتسم فيه معالم طريق يقود الدول إلى تخيل بنائي (كقرية كونية صغيرة تضم الأمم والشعوب) وتتأكد فيها الحاجة إلى نظام قيمى مشترك، ونظام أخلاقى مدنى عالمى، وقيادة مستنيرة تقود الشعوب إلى جوار دولى واحد. وإذا صح ذلك تصبح العولمة أو الكوننة Globalization «هي العملية التي يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب التي تنتقل فيها المجتمعات من حالة الفرقة والتجزؤ إلى حالة الاقتراب والتوحد ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق ومن حالة التباين والتمايز إلى حالة التجانس والتماثل، وهنا يتشكل وعى عالمى وقيم موحدة تقوم على مبادئ إنسانية عامة» (٦: ص ١٢٥ - ص ١٢٧).

ويقول «دوبريه» أيضا إن الكوننة الاقتصادية كلما تعمقت تشرذمت الأبنية السياسية، فتظهر النزاعات القومية رد فعل لهذه العملية، تلك النزاعات التي تأخذ أحيانا صورا بالغة التطرف «دفاعاً عن الانتماء سواء أكان وطنياً أم قومياً أم دينياً». وإن هذا الاتساق الكونى مفروض من الشمال ومن الولايات المتحدة الأمريكية على الجنوب بل على دول الشمال أيضاً بهدف تعميم نظم الحياة والثقافة الأمريكية. لذا فإنها عولمة مصطنعة أو زائفة لا تبادل فيها ولا تعامل بالمثل.

والعولمة أو الكوننة بهذا المعنى «عملية تاريخية تحكم تفاعلاتها مجموعة من القيم لدولٍ عظمى في النظام العالمي» من أبرزها الولايات المتحدة الأمريكية التي تسعى بكل الوسائل إلى تسيير نموذجه الحضاري في الاقتصاد «حيث آلية السوق وحرية التجارة هي المبادئ الأساسية» وفي السياسة «حيث تبرز شعارات الديمقراطية وحقوق الإنسان»، وفي الثقافة «حيث يتم التركيز على الفردية وحرية الإنسان» أي ان تأثير الكوننة يتمثل في تهميش البنى التقليدية وتغريب الإنسان فيها (٦:ص١٢٧).

لذلك فقد ورد في كثير من الأقوال (أمركة) إشارة إلى الهيمنة الأمريكية والتي أخذت هذا النمط أو الخط سعيًا وراء الهيمنة والسيطرة العالمية وهناك من يستخدم مفهوم (النظام الدولي والنظام العالمي والوضع أو الترتيب العالمي أو الدولي وعلاقات دولية وعلاقات أممية والتدويل والعالمية و الكونية والكوكبية والأمية والمجتمع الدولي).

وهناك من يستخدم مفاهيم تدل على انتقال الظواهر الدولية من حال إلى حال آخر باستخدام «ما بعد» مثل (ما بعد الصناعي وما بعد الحداثة وما بعد القومية وما بعد المجتمع العلماني وما بعد الحرب الباردة وما بعد المادية وما بعد الايديولوجية وما بعد التاريخ).

وهناك من يستخدم «ما بين» كالقول بتحول العلاقات الدولية من مرحلة (ما بين الدول) إلى مرحلة (ما بين الأمم) وهناك من يستخدم (عبر أو عابر أو متعدية) مثل (عبر القارات وعابر للقوميات وعابر للإقليمية وفوق القوميات ومتعدية الجنسيات) وهناك من يستخدم عبارة (متعددة) مثل (تعدد الأعراق والقوميات والأديان والثقافات واللغات ومتعددة الجنسيات) (٧:ص٣).



إن الاختلاف على مفهوم العولمة بالنسبة للمهتمين بها هو أشبه إلى حد ما باختلاف الفلاسفة في الاتفاق على تعريف الفلسفة فكل فيلسوف عرف الفلسفة تعريفاً ينسجم وطبيعة النظام الذي يضعه فإن كان أخلاقياً كان تعريف الفلسفة أخلاقياً وإن كان جمالياً أو معرفياً أو منطقياً أو مادياً أو مثالياً كان تعريفه للفلسفة كذلك. وقد يكون من المفيد في فض هذه التشابكات الخوض في التصور المفاهيمي على أصعدة عدة وهي:

### على الصعيد السياسي

فهي الدعوة إلى اعتماد الديمقراطية والليبرالية السياسية وحقوق الإنسان والحريات الفردية، وهي إعلان لنهاية سيادة الدولة ولنهاية الحدود ولتكامل حقل الجغرافية السياسية (٨:ص ٤٤).

ويرى السياسيون أن ظاهرة ضعف نظام الدولة القومية في العالم وانتشار التيارات المطالبة بالحرية والديمقراطية هي المؤشر الحقيقي على عصر العولمة، ومن مؤشرات (عصر العولمة) السياسية والاجتماعية مثلاً انتشار الجريمة المنظمة والجرائم الحديثة والفساد الإداري وجرائم المخدرات والعنف والإرهاب والانحلال الخلقي، وضعف قدرة النظام الداخلي على الإمساك بزمام الأمور بالدولة أي انهيار الدولة القومية وأزمة المديونية للعديد من المجتمعات النامية وارتفاع معدلات الهجرة وازدياد عدد من هم تحت خط الفقر... الخ، هي من مؤشرات عصر العولمة (٩:ص ١).

يحاول «محسن الخضيرى» في كتابه «العولمة» تعريف مفهوم العولمة والوقوف على أهم جوانبه يقول: «إن العولمة مفهوم يعبر عن حالة من تجاوز الحدود الراهنة للدول

إلى آفاق أوسع وأرحب يشمل العالم بأسره». أي بمعنى أن العولمة تمثل الانفتاح على العالم والتأثير الثقافي المتبادل بين أقطاره المختلفة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يقول إن للعولمة جوانبها المتعددة منها السياسي والمتجلى في انهيار الدولة القومية وسيادة الفكر الديمقراطي والمطالبة بحقوق الإنسان (١٠: ص ١٥). فعلى الصعيد السياسي تبدو العولمة أمام مفارقة واضحة فهي من جانب تبشر بالديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية الفرد والحريات العامة ومن جانب آخر تغض البصر عن انتهاك تلك القيم في كثير من بلدان العالم أما بسبب المصالح الاقتصادية والتجارية، أو بسبب سياسيات الدول أمام مصلحتها السياسية وتحالفاتها مع الدول (٨: ص ٤٦).

### على الصعيد الاقتصادي

على الصعيد الاقتصادي بحسب تعريف كثير من الأدبيات الغربية فهي أي (العولمة) زيادة درجة الارتباط المتبادل بين المجتمعات الإنسانية من طريق عمليات انتقال السلع ورؤوس الأموال وتقنيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات. أو هي الاقتصادات العالمية المفتوحة على بعضها وهي أيديولوجيا ومفاهيم الليبرالية الجديدة التي تدعو إلى تعميم الاقتصاد والتبادل الحر كنموذج مرجعي، وإلى قيم المنافسة والإنتاجية وهي تعد العالم بالرفاه (دون البنين) وبالمزيد من التقدم.

ويصف (ادوارد لوتواك Edward Luttwak) العصر الجديد بأنه (عولمة الاقتصاد) أي العمل على صهر الاقتصادات القروية والإقليمية في اقتصاد عالمي وشمولي واحد لا مكان فيه للخاملين، وإنما يجري في السوق الرأسمالي هو (الرأسمالية النفاثة) لأن السرعة التي تحدث فيها التحولات قد أحدثت صدمة لقسم عظيم من السكان، وهو يشير إلى: ان سبب التفكك الأسري الحاصل في الولايات المتحدة وحتى

الاضطرابات التي كانت سائدة في المكسيك والدول المشابهة لها هو بفعل عولمة الاقتصاد (١١ - ص ٧٠). وفي قول آخر لـ (تايل نيكر Tyll Necker) وهو رئيس اتحاد الصناعات الألماني (BDI) بأن العولمة أدت إلى تحولات هيكلية وبسرعة عالية، يصعب على عدد كبير من الأفراد مسايرتها وتحمل أعبائها، لذا فالعولمة، أرهقت غالبية السكان، فمثلاً ان الشباب البالغ الثلاثين من العمر لا يستطيع التعامل مع أجهزة التسلية أو الكمبيوتر أو البضائع الحديثة بالمقارنة مع شاب أصغر منه بسنوات قليلة لأنها تفوق مداركه، وعليه التواصل معها وان هذا التواصل يتطلب منه مقدرة عالية من الذكاء والحركة والتنقل... الخ.

لقد أسهمت ثلاثة عوامل في الاهتمام (بمفهوم العولمة) في الفكر والنظرية، وفي الخطاب السياسي الدولي، هي:

١. عولمة رأس المال، أي تزايد الترابط والاتصال بين الأسواق المختلفة حتى وصلت حالة أقرب إلى السوق العالمي الكبير، خاصة مع نمو البورصات العالمية.

٢. التطور الهائل في تكنولوجيا الاتصال والانتقال والذي قلل - إلى حد كبير - من أثر المسافات، وانتشار أدوات جديدة للتواصل بين أعداد أكبر من الناس كما في شبكة الانترنت.

٣. عولمة الثقافة وتزايد الصلات غير الحكومية والتنسيق بين المصالح المختلفة للأفراد والجماعات، فيما يسمى الشبكات الدولية (Net Working) حيث برز التعاون استناداً للمصالح المشتركة بين الجماعات غير القومية، مما أفرز تحالفات بين القوى الاجتماعية على المستوى الدولي، خاصة في المجالات النافعة مثل

الحفاظ على البيئة، أو في المجالات غير القانونية كتنظيف الأموال والمافيا الدولية للسلاح.

وعلى الرغم من أن دعاة العولمة يرحبون بزوال الحدود القومية ويعملون على إنهاء الدولة القومية والحد من الإغراق في الخصوصية الثقافية والمحلية، إلا أنهم يصطدمون بوجود قوتين متعارضتين هما (التوحد والتجزؤ) فبينما يتوجه الاقتصاد إلى التوحد، فإن السياسة تتجه إلى المزيد من التفتت مع نمو الوعي العرقي والنزاعات الإثنية (١٢ ص ٢).

وتتويجاً لـ (عولمة الاقتصاد) فإن ظهور منظمة التجارة العالمية عام ١٩٩٥ م، ومقرها جنيف التي خلفت الاتفاقية العامة للتعريف الكمركية (الجات) وانتشار مذهب التبادل الحر واقتصاد السوق الذي بات أيديولوجية تسيطر على العالم من أقصى شرقه إلى غربه، وظهور الشركات المتعددة الجنسيات فأخذت ظواهر عديدة منها هيمنة الغرب ولاسيما (أمريكا) وسقوط المعسكر الشرقي وسيادة القطب الواحد وان هذه الهيمنة تأخذ أبعاداً عسكرية وسياسية واقتصادية وثقافية وبرز المؤتمرات والمؤسسات الدولية... الخ، وصندوق النقد الدولي.

وكما هو معروف فإن منظمة التجارة العالمية هي وريثة (الجات) الذي احتفل به العالم عام ١٩٩٨ م بمرور خمسين عاماً على وضعه والاتفاق عليه وعند النظر إلى أهم أهداف منظمة التجارة العالمية وبعض من شروط التوقيع عليها:

١. إلغاء الحواجز والقيود وتخفيضها إلى أقل درجة.
٢. تحرير التجارة بمعنى سيادة قوانين السوق في العرض والطلب وإلغاء تدخل الدولة.
٣. خصخصة الاقتصاد.

٤. تكامل الأسواق العالمية بحركة انتقال رؤوس الأموال والسلع والأشخاص عبر الحدود القطرية.

٥. الشفافية في المعلومات والتكامل في الصناعة والزراعة ومنح الشركات متعددة الجنسيات حرية الاستثمار.

وعند التعقيب على أهم تلك الأهداف والشروط فإن الدول كانت في الماضي تتدخل لمراقبة حركة النقد والسلع والأشخاص وعملية البيع والشراء في الأسهم والعملات، ولكن في ظل التحرير الكامل للتجارة العالمية والتدويل الكامل للأسواق في ظل سياسة (الشفافية) التي خدعت بها دول العالم الثالث وإن تلك الشفافية المزعومة لا تمارسها الشركات متعددة الجنسيات فإن أدواتها وسياساتها سرية ولكنها تدعو للشفافية لتستفيد من حركة الأسواق العالمية من دول العالم الثالث.

أما البنك الدولي فيقدم شروطه بشكل نصائح أهمها:

١. القضاء على العجز في ميزان المدفوعات.

٢. تحرير الاستيراد من جميع القيود.

٣. إضافة أسواق للعملات والأسهم.

٤. إلغاء حماية السلع المحلية.

رفع الحكومات الوطنية الدعم على السلع والخدمات إضافة إلى رفع موارد الدولة وذلك بفرض الرسوم والضرائب المباشرة أو رفع أسعار الوقود والحد من السيولة ومن نمو عرض النقود والأخذ بسياسة التحرير الاقتصادي. على أساس تلك الشروط وبعد إعطاء شهادة صلاحية تؤكد سلامة الاقتصاد المحلي - من الدولة المتقدمة للقرض - تمنح القروض والتسهيلات المالية وتؤهلها إلى الاقتراض

من مؤسسات التمويل العالمية والإقليمية، ومن لا يحصل على تلك الشهادة فلا يستطيع الاقتراض لا من البنك الدولي ولا من مؤسسات التمويل الأخرى (١٣): ص ١٧-١٨).

وعلى هذا الأساس يعد الاقتصاد أهم التحديات ذات الصلة بالعولمة، ليس لأن العامل الاقتصادي هو أساس العولمة والمحرك الرئيس لها فحسب، بل إن العولمة الاقتصادية سيطرت على منطق السوق وأثارت مخاوف كثير من الدول في العالم وإن سلبيات العولمة الاقتصادية مست دولاً عديدة بما فيها الدول العربية وهذا ما أكده (كوفي عنان) في افتتاح الدورة الثالثة والخمسين عام ١٩٩٨ للجمعية العامة للأمم المتحدة حيث قال: إن الملايين يعيشون العولمة لا كفرصة مواتية لكن كقوة تدمير وتعطيل وكاعتداء على مستويات معيشتها. وإن تحدي العولمة الاقتصادية لا يكون بأدوات اقتصادية فقط، بل هناك أبعاد مرتبطة به منها (البعد الاقتصادي الخالص، البعد السياسي للاقتصاد، والبعد الثقافي) (١٤: ص ٢).

### على الصعيد الثقافي

إن الثقافة هي «ذلك المستودع المتراكم من المعرفة والمعتقدات والقيم والفنون والأخلاق، والقانون، والعرف والعادات وسائر أساليب حفظ البقاء التي اكتشفها أو استعارها بنو الإنسان أو أوجدها لنفسه باعتباره عضواً يعيش بين جماعة تؤمن وتؤيد وتحافظ على ذلك التراث» (١٥: ص ٨٧).

وبعبارة أخرى هي: مجموعة الأفكار والقيم والمعتقدات وطرق التفكير وأسلوب الحياة والعرف والفن والنحت والتصوير والرقص الشعبي والأدب والرواية والأساطير ووسائل الاتصال والانتقال وكل ما يتوارثه الإنسان ويرى

بعض علماء الانثروبولوجيا بأنه يمكن تقسيم عناصر الثقافة إلى قسمين كبيرين (١٥: ص ٩٤-ص ١١١):

١. العناصر المادية أو ما يسمى المكونات المادية أو القطاع المادي للثقافة ويقصد بها ما أنتجه الإنسان ويمكن ان نلمسه بالحواس المعروفة فهي ما يستعمله الإنسان في حياته اليومية من «أدوات، وأثاث، ومسكن، ووسائل نقل وسفر، وملبس، وأسلحة، ومبانٍ، وحلي، وعادات معينة في طريقة الغذاء».

٢. العناصر غير المادية أو ما تسمى بالعناصر المعنوية للثقافة: ويقصد بها القيم والعرف والعادات والتقاليد وقواعد السلوك والأخلاق. وإلى جانب ذلك هنالك أيضاً.

٣. المكونات الاجتماعية أو ما يسمى القطاع الاجتماعي للثقافة فهو ما يطلق عليه اصطلاح البناء الاجتماعي (Social Structure) والمقصود هنا هو النظم الاجتماعية التي من طريقها تصل مجموعة من السكان إلى حالة من التكامل والترابط وهي الحالة اللازمة لتكوين المجتمع، وان البناء الاجتماعي هو هيكل المجموعة الاجتماعية من الناس المستمرة في الوجود مدة كافية من الزمن وتنشأ بين أفرادها علاقات وتفاعلات ينشأ عنها مجموعة من النظم الاجتماعية تتيح له مركزاً اجتماعياً يؤدي دوره فيه وتحدد نمط سلوكه المطلوب منه داخل الهيكل أو البناء الاجتماعي لذلك المجتمع.

٤. الجانب الفكري أو ما يسمى القطاع الفكري للثقافة فيشمل العناصر والمركبات والنظم الثقافية التي يغلب عليها الأفكار والعواطف ويتفق أغلب الانثروبولوجيين على أن هذا القطاع يشمل (اللغة، والفن، والسحر، والدين والعلم).

يرى بعض الباحثين ان -عولمة الثقافة- ما هي إلا عملية تعميم الثقافة الأمريكية على العالم، وهناك من الباحثين الأمريكيين من يحاول الإيحاء إلى أن هناك عوامل سلبية في الثقافات الأخرى مما يؤدي إلى اللجوء إلى الثقافة الأمريكية باعتبارها الحل (السحري) لجميع السلبيات الموجودة في ثقافة الآخر، ووجود سلبيات في الثقافات غير الأمريكية على سبيل المثال «أنها ثقافات نخبة أو صفوة، هي ثقافات مكبلة بالقيود وهي ثقافات ذات توجهات دينية وتستخدم لغة لا تفهمها غير فئة قليلة من الصفوة أو رجال الدين ومن ثم هي لا تلبى حاجات الإنسان المعاصر»، مما يؤدي إلى سيطرة الثقافة الأمريكية.

وقد ذهب (فرانيس فوكوياما F. Fukuyama) في كتابه (نهاية التاريخ) ١٩٨٩ إلى «حتمية سيادة الحضارة الأمريكية وهيمنتها في كل المجالات ويرى ان الحضارة الأمريكية قد وصلت أعلى مستويات الرقي والتقدم الذي يمكن أن يبلغه الإنسان في أي زمان ومكان وأن الإنسان الغربي صانع هذه الحضارة وهو أعلى وأرقى سلالة بشرية يمكن أن تخرج إلى الوجود وأنه خاتم البشرية» (١٣: ص ١٠)، وأفرزت الثورة التكنولوجية في مجال الاتصال ظهور الإنتاج الجماهيري والذي ينظر إلى العالم بكافة أجناسه وشعوبه باعتباره سوقاً يجب ان يخضع لمعايير موحدة، لذا كرست فكرة السوق العالمية جهودها في مجال صناعة المضامين الثقافية والمضامين الأخرى ذات الارتباط بالثقافة كالإعلان والترفيه، وظهر بذلك مصطلح ثقافة عالمية كونية تدفع العلم والعالم إلى الدخول في قالب ثقافي واحد.

وقد ظلت مسألة إيجاد ثقافة عالمية هاجس القادة والساسة الأمريكيين ويعتبرون عدم وجودها عائقاً أمام تحقيق الأحلام والطموحات والأهداف الإستراتيجية، وفي ذلك يقول جورج بوش الرئيس الأمريكي السابق: هناك شرطان أساسيان للنظام



الدولي الجديد المؤسس على هيمنة القانون الدولي لم يتوافر بعد وما زال بعيدين عن التحقيق في المستقبل القريب هما (١٧: ص ١):

١. عدم وجود ثقافة دولية ومجتمع دولي متماسك قادرين على العمل، لتخفيف التنافسات وسوء الفهم المتبادل المؤدي إلى الصراعات وتصادم القيم الحضارية بين الأمم.

٢. ما زال الأمر الواقع الحالي غير مقبول لكثير من الأطراف التي لا تتوافق مطالبها بسهولة مع الإطار الدولي الحاضر.

وقد ظهرت توجهات نظرية تقول بحتمية قيادة أمريكا للعالم، مثل (نظرية نهاية التاريخ وظهور الرجل الجديد لـ (فوكو ياما) والتي دعمت فكرة الرأسمالية وسمو النموذج الأمريكي). وكذلك نظرية صدام الحضارات لـ (صامويل هنتنغتون S. Huntington) إذ قال: «المصدر الأساسي للصراعات في العالم الجديد لن يكون بالدرجة الأولى إيديولوجياً ولا اقتصادياً، ان الانقسام الكبير بين البشر والمصدر الأساسي للخلاف سوف يكون ثقافياً، وتلك النظرية دعت إلى حتمية الصراع الإيديولوجي بين الشرق والغرب». كل ذلك حمل جملة من المفكرين للقول بخطورة تلك الإفرازات ومساسها بالأمن الثقافي والفكري للعالم خصوصاً من غير الغربيين وظهرت مصطلحات تعكس حالة القلق والتوجس من زحف الثقافة الإنجلو أمريكية، مثل: الغزو الفكري والاختراق الثقافي والعولمة الثقافية والهوية... الخ.

ويشير عدد من الباحثين في الثقافة والعولمة الثقافية إلى تحول مفهوم الثقافة فعند النظر إلى التعريف الكلاسيكي للثقافة «بأنه مجموعة من العادات والتقاليد وأنماط السلوك المادية والمعنوية التي تميز شعباً من غيره من الشعوب»، هذا التعريف كان كافياً بحد ذاته عندما كانت المجتمعات تتحكم بالتنشئة الاجتماعية، ولم يكن

للمؤثرات الخارجية دورٌ كبيرٌ في التأثير في البنية الثقافية، ولكن في ظل الثورة المعلوماتية وهذا التدفق الهائل للأفكار والقيم وأنماط السلوك عبر الفضائيات وشبكات الانترنت بأساليب مشوقة ومغرية ومن السهل الوصول إليها، لم تعد الثقافة نتاجاً وطنياً خالصاً ولم تعد النظم السياسية والاجتماعية ولا البنى التقليدية قادرة على التحكم بالتنشئة الاجتماعية ومن ثم بمصادر ومغذيات الثقافة الوطنية. (١٤: ص١).

ولا بد لنا من بيان الصلة بين الإعلام والعمولة لأن الإعلام يرتبط بالبنية السياسية الدولية وبالبنية الاقتصادية وبالبنية الثقافية وعالم الإعلام في الوقت الحاضر، هو عالم بلا دولة وبلا أمة وبلا وطن لأن الحكومات فقدت السيطرة على فضائها، وأصبح الفضاء غير المحدود هو المكان الذي تتحرك فيه العمولة الإعلامية أو هو وطن الإعلام، هذا الوطن الإعلامي يستخدم ما يزيد على خمسمائة قمر صناعي تدور حول الأرض ويستقبل بثها أكثر من مليار من أجهزة التلفزيون، وإن كل مدخلاته ومراكز تشغيله واليات التحكم فيه تأتي من شمال الكرة الأرضية، وتبين لنا إحصاءات منظمة اليونسكو (١٨: ص٦٦) أن هنالك ٣٠٠ شركة إعلامية هي الأولى في العالم، وجدنا بينها ١٤٤ شركة أمريكية و ٨٠ أوروبية و ٤٩ يابانية، ومن بين ٧٥ الأولى في مجال نقل المعلومات إلى الجمهور هناك ٣٩ شركة أمريكية و ٢٥ أوروبية و ٨ يابانية، ومن بين الشركات ٨٨ الأولى في قطاع الخدمات (المعلوماتية والاتصالات بعيدة المدى) نجد ٣٩ أمريكية، ١٩ أوروبية، و ٧ يابانية ومن ١٥٨ شركة في قطاع التجهيزات نجد ٧٥ شركة أمريكية و ٣٦ أوروبية و ٣٣ يابانية، ويوجد الباقي بأكمله تقريباً في الشمال في استراليا وكندا (١١: ص٦٧-ص٦٨).

ويحدد (بول كيركبرايد) أربع مراحل لتأريخ العمولة وهو القائل: إن العمولة الراهنة

ما هي إلا صورة منقحة ومتطورة لعولمة تعود إلى بداية التأريخ. وتلك المراحل هي (١٤-ص ٥):

١. العولمة قبل الحداثة ما بين بداية التأريخ وعصر النهضة.
٢. العولمة في ظل الحداثة الجديدة من ١٥٠٠ - ١٨٠٠.
٣. العولمة الحديثة من ١٨٥٠ - ١٩٥٤.
٤. العولمة المعاصرة من ١٩٥٤ وحتى الآن.

وصاغ (رونالد روبرتسون) خمس مراحل تاريخية للعولمة منذ بدايات القرن الخامس عشر كإطلاقة لها وهذه المراحل هي (المرحلة الجينية مرحلة النشء ومرحلة الانطلاق ومرحلة الصراع من اجل الهيمنة وأخيراً مرحلة عدم اليقين)، أن هذه التوجهات ترى أن العولمة في جذور النظام الرأسمالي بل هي المرحلة الراهنة من مراحل تطور النظام الرأسمالي (١٩: ص ٣٠-ص ٣٢).

وعند النظر إلى الوجه الآخر للعولمة بوصفها فكراً إنسانياً فهي تضرب بجذورها إلى ما قبل النظام الرأسمالي بوصفه نظاماً اقتصادياً وسياسياً وإلى ما قبل وجود الولايات المتحدة الأمريكية على الخريطة السياسية، ويمكن القول ان (الفلسفة الرواقية) أول من بشر ودعا للعولمة دون أن تسميها عولمة من طريق مبدئين هما أساس فكرها (القانون الطبيعي) (قانون كل البشر الذي لا يفرق بين الناس على أساس الدين أو الموطن أو الخلفية الاجتماعية والمبدأ الآخر (الدولة العالمية والمواطنة العالمية أو مدينة العالم) ومبدأ هذه المدينة كما يقول (زينون مؤسس هذه الفلسفة) يكمن في أن الناس يجب ان لا يتفرقوا في مدن وشعوب لكل منها قوانينها الخاصة لأن كل الناس مواطنون، ولأن لهم حياة واحدة ونظاماً واحداً للأشياء كما هو حال القطيع الموحد في ظل قاعدة قانون مشترك (١٤: ص ١).

## المحور الثالث

### ميكانيزمات العولمة

لقد مر النظام الرأسمالي بمراحل وتطورات نحو هدفين ظلا من ثوابته وإستراتيجيته، وإن تغيرت آليات تدعيمه وتجديده بحسب المتغيرات الداخلية والخارجية، ومستنداً إلى الاستعمار بثوبه القديم، إذ تركز الهدف الأول على التجديد والتطهير والإبداع في داخل النظام الرأسمالي نفسه بهدف تحقيق نمط إنموزجي بالقوة الاقتصادية والعسكرية والحضارية والسياسية يتميز بها من أي نظم أخرى يمكن ان تنافسه، وتمثل الهدف الثاني في دعم الهيمنة الخارجية من أجل تحقيق الهدف الأول. ومع التطورات الحديثة خاصة في مجال التقنية والاتصالات والمعلومات تطورت آليات الهيمنة وتجلياتها الاقتصادية والسياسية والثقافية، فقد اتجهت آلياتها إلى تدويل الاقتصاد وتدويل رأس المال وقوة العمل والإنتاج وكذلك تدويل أنماط الاستهلاك بل تدويل الثقافة نفسها، أي عولمة العالم وجعله قرية صغيرة واجتماعياً، مواردها وثرواتها، وإذا كانت منظمة التجارة العالمية تمثل في المفهوم الماركسي البناء التحتي للعولمة فان البناء الفوقي تشكله ثقافة العولمة الجديدة، التي تتبنى ترويجها وترسيخها وتكريسها لوسائل الاتصال العابرة للحدود من أقمار اصطناعية وشبكة انترنيت وهواتف نقالة... الخ.

ويرى أحد الباحثين أن العولمة تعني الأمركة فيقول: «إن سادة العالم الجدد أرادوا أن يسودوا اقتصادياً وثقافياً، بحيث يغدو اقتصادهم الرأسمالي النمط

الاقتصادي السائد والمسيطر عالمياً، بينما تقوم ثقافتهم الاستهلاكية بمهمة إلغاء وشطب الثقافات المحلية والقومية والوطنية في العالم بحجة أننا أصبحنا عالماً واحداً». وهذا ما أكده ودعا إليه الرئيس الأمريكي السابق (بيل كلنتون) في قوله: «إن أمريكا تؤمن بأن قيمها صالحة لكل الجنس البشري، وإننا نستشعر ان علينا التزاماً مقدساً لتحويل العالم إلى صورتنا» (٢٠:ص ١١٩).

ويمكن إيجاز العوامل الرئيسة المؤدية إلى تصيير العالم (قرية صغيرة) بالآتي:

١. تقارب رغبات وأذواق المستهلك على المستوى العالمي وهو شعار المنادين بعولمة الأسواق حيث يرون بأن احتياجات ورغبات العالم متجانسة تماماً، وان كل مستهلك سواء أكان في دولة متطورة أو نامية يرغب في استهلاك المنتجات العالمية.
٢. انخفاض تكاليف النقل وزيادة السفر وتحسن قنوات الاتصال، من طريق وسائل عديدة منها الاعتماد المتبادل على الحاويات الضخمة والسفن العملاقة بالإضافة إلى انخفاض أسعار البترول.
٣. هو منحنيات الخبرة التي يمكن أن تقود إلى تخفيض تكاليف التصنيع وتحسين تطوير العملية الإنتاجية.
٤. هو التطور التكنولوجي الهائل، الذي يعد سبباً في تفجر العولمة وتدعيمها.
٥. هو السرعة والتوقيت، حيث تعتبر السرعة من الأسباب الجوهرية التي دعمت العولمة بكل جوانبها.
٦. يتمثل في تدخل الحكومة المحلية بفرض الرسوم الكمركية وتقييد الملكية مما أثر في صناعتها المحلية.

٧. يكمن في اقتصاديات الحجم والتي مفادها (إن المنتج الذي ينتج بحجم كبير يستطيع أن يخفض تكاليف الإنتاج وخاصة التكاليف الثابتة) ولما كان السوق المحلي بطبيعته محدوداً وغير كبير كفاية فإن الحل يكمن في الخروج للعالمية أو الاتجاه إلى الأسواق العالمية.

٨. في اقتصاديات التنوع، والمقصود بالتنوع مقدرة المصانع على إنتاج عدد كبير من السلع المتنوعة والمختلفة القابلة للتسويق عند مستويات تكلفة أقل. ومن أهم الميكانيزمات المعتمدة في تحقيق العولمة هي:

### أولاً: الضغوط الاقتصادية

ويقوم على فكرة وحدة السوق، وإزالة العوائق أمام حركة رأس المال، وتحويل العالم إلى مجتمعات صناعية منتجة -وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية- ومجتمعات مستهلكة، ولا بد للمستهلك ان يخضع للمنتج بطريقة أو بأخرى وهي حقيقة يدركها الجميع وكما هو معروف فان المنتج يحمل هم نشر ثقافته وقيمه ويعبر عن مجتمعه بفرض ثقافته المحلية وجعله طابعاً عالمياً وذلك باستخدام مجموعة من الوسائل والآليات الاقتصادية والتي مرَّ ذكر بعضها سابقاً ومنها أيضاً:

١. صندوق النقد الدولي: ويقوم على ضبط النقد الدولي واستقراره.
٢. البنك الدولي: وهو منظمة أممية يقوم على الإقراض ودراسات الجدوى في مجال الإنشاء والتعمير للدول المتضررة من الحروب والدول الفقيرة.
٣. منظمة التجارة العالمية.

وعند النظر إلى تلك المؤسسات الثلاثة، فإننا نلاحظ أنها تشترط على الدول الراغبة في الاستفادة من مزاياها الاقتصادية شروطاً لا يمكن تصنيفها إلا في الإطار

الثقافي والفكري، مما يؤكد كون العولمة الثقافية هدفاً على الرغم من أن الإطار أو الشكل لتلك المؤسسات اقتصادي.

### ثانياً: التوجيه الإعلامي

تتمثل الهيمنة الإعلامية بالمؤسسات العملاقة التي تمتلك نواحي وسائل الإعلام من قنوات فضائية ودور نشر وغيرها. وأبرز هذه المؤسسات هي:

١. مجموعة تايم وورنر (Time-Warner): وهي أكبر شركة إعلامية في العالم تفوق مبيعاتها ٢٥ مليار دولار سنوياً، وتمتلك عدة قنوات تلفزيونية أشهرها (CNN) التي بلغت من قوة تأثيرها في الرأي العام العالمي على الصعيد الثقافي والسياسي، التي جعلت بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة السابق يعدها العضو رقم ١٦ في مجلس الأمن.

٢. مجموعة برتلزمان (Bertels Man): وهي أكبر مجموعة إعلامية في أوروبا تفوق مبيعاتها ١٥ مليار دولار سنوياً، وتمتلك عدة قنوات تلفزيونية في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا، و٤٥ دار نشر وأكثر من ١٠٠ مجلة.

٣. مجموعة فياكنم (Viacom): وهي مجموعة أمريكية قوية دخلها السنوي يبلغ ١٣ مليار دولار وتمتلك ١٣ محطة تلفزيونية أمريكية مهمتها الرئيسة هي نشر الثقافة الأمريكية.

٤. مجموعة دزني (Disney): وهي أكبر منتج لمواد الأطفال في العالم وتمتلك شبكة (ABC) إضافة إلى مجموعة من القنوات الفضائية، دخلها يفوق ٢٤ مليار دولار سنوياً.

٥. مجموعة نيوز كوربريشن (News Corporation): وتملك شركة فوكس وشبكتي ستار وسكاي للإنتاج السينمائي والبث التلفزيوني إضافةً إلى ٢٢ محطة تلفزيونية و١٣٢ صحيفة و٢٥ مجلة، وتعد اليوم أكبر لاعب دولي في مجال الإعلام حول العالم، وتزداد خطورة بثها في بث البرامج بلغات مختلفة.

٦. مجموعة (T.C.T): وهي مجموعة متخصصة بالبث التلفزيوني عبر الكابل المدفوع بالاشتراكات، وتملك قمرين صناعيين للبث حول العالم (٢١:ص ١٤).

فضلاً عن وجود كثير من الشركات وعددٍ من المحطات التلفزيونية والصحف العالمية والمجلات التي ذكرناها سابقاً في طيات هذا البحث إلى جانب شبكات الانترنت ووسائل الاتصال الحديثة التي سهلت وصول الخبر بسرعة وأثرت في القيم الثقافية والسلوكيات بطريقة مبهرة ملحّة ومستمرة والتي أفرزتها الثورة التكنولوجية.

### ثالثاً: المؤتمرات والاتفاقيات الدولية

وتستخدم تلك المؤتمرات والاتفاقيات الدولية الطرف الأمريكي، وهو الصانع الأساسي والخفي للعولمة - خصوصاً العولمة الثقافية - بغية الإيحاء للشعوب بأن ما يصدر من قرارات لتلك المؤتمرات والهيئات الدولية إنما هو مطلب دولي عالمي وليس مطلب قطب أحادي واحد، ومن أبرز هذه المؤتمرات والاتفاقيات المعروفة دولياً وعالمياً:

١. اليوم العالمي لحقوق الإنسان.

٢. المؤتمر الدولي للسكان.

٣. اليوم العالمي للشباب.



٤. المؤتمر العالمي للمرأة.
٥. هيئة الأمم المتحدة.
٦. مجلس الأمن الدولي.

#### رابعاً: الشركات العملاقة متعددة الجنسيات

لقد نجحت الكثير من تلك الشركات في الهيمنة على السوق بسبب نوعية منتجاتها وخدماتها، وبضخامة رأسها وباندماجاتها، ويكفي أن نعلم أن رأس مال الشركات المندجة في مجال الحاسبات فقط على مستوى العالم قد قفز إلى ٤٢٦ مليار دولار عام ١٩٩٩ بينما كان ٢١ مليار عام ١٩٨٨ (٢٠:ص ١٢٠).

وهناك من الشواهد على ما أصبح عليه رؤساء هذه الشركات من القوة والنفوذ والتأثير بالتأثير في الدول ورؤسائها بل إخافتها عند مخالفة القيم الثقافية التي يؤمنون بها عبر تسليط ذلك الغول المسمى بالشركات العملاقة وهو ما دفع مستشار الرئيس الأمريكي السابق بالقول: في السابق كنت أمني نفسي ان أكون رئيساً أو بابا، أما الآن فإني أود أن أكون سوق المال إذ سيكون بإمكانني أن أهدد من أشاء.



حياة الإنسان والخلايا وتطورها وانقسامها أو وظائف الأعضاء التي يتكون منها جسم الإنسان بالإضافة إلى عمليات تشريح جسد الإنسان لتعرف مكوناته الداخلية لمعرفة الأجنة البشرية ومراحل تطورها وأشكالها للوصول إلى مستوى صحي أفضل ومعرفة الأمراض المختلفة التي يصاب بها الإنسان وأسبابها وطرق التشخيص وانسب الطرق العلاجية فان هذه الفئة من العلوم تقتصر على دراسة جانب واحد فقط من الإنسان وهو النظر إليه بوصفه كائنًا بيولوجيًا.

### ثانيًا: مجموعة العلوم الاجتماعية

مثل علم الاجتماع وعلم النفس وعلم السياسة وعلم الاقتصاد والتاريخ والجغرافية البشرية... الخ، فإنها تلقي الضوء على جوانب أخرى من الإنسان، وكل علم منها يهدف إلى إلقاء الضوء على زاوية معينة من الزوايا الاجتماعية للإنسان، فعلم الاجتماع يهتم بدراسة الحياة الاجتماعية للإنسان سواء في شكل زمر أم جماعات أم مجتمعات محلية أم كبيرة ودراسة نواحي التنظيم الاجتماعي ودراسة النظم المجتمعية التي «خلقها الإنسان» سواء الاقتصادية أم السياسية أم الدينية أم الصناعية... الخ، والعالم السياسي أو الاقتصادي يهتم بدراسة السلوك السياسي أو الاقتصادي للإنسان، وعالم التاريخ يهتم بدراسة الأحداث التاريخية التي مرَّ بها البشر، والمختصون بالجغرافية البشرية يركزون على البيئة الجغرافية ودورها في التأثير على حياة الإنسان، وإن علم النفس يتناول دراسة الإنسان كفرد من الناحية السيكولوجية وليس من الناحية البيولوجية، موضحاً السمات الشخصية لكل فرد وتناول جوانب الشعور واللاشعور... الخ، فإننا نلاحظ أن كل علم من تلك العلوم يلقي الضوء على جانب اجتماعي محدد من الإنسان.

## ثالثاً: الدراسات البيئية

التي توضح العلاقات المتبادلة بين الإنسان والبيئة وما ينتج عن هذه العلاقات من أنساق ونظم اجتماعية ويسمى هذا النوع من الدراسات بالإيكولوجيا ومنها الإيكولوجيا الطبيعية، والإيكولوجيا البشرية والإيكولوجيا الاجتماعية... الخ (٢٢:ص ١١-ص ١٩).

أما الأنثروبولوجيا فإنها تتميز من العلوم السابقة التي تدرس الإنسان من عدة جوانب:

أولاً: نجد أن الأنثروبولوجيا هي علم أشمل من العلوم السابقة وأنها تجمع في علم واحد الجوانب البيولوجية والاجتماعية والثقافية للإنسان فهناك ثلاثة جوانب مهمة يتطرق إليها عالم الأنثروبولوجيا وهي:

١. الجانب البيولوجي: دراسة سمات الإنسان المورفولوجية والفسولوجية مثل ما أصل الإنسان؟، وكيف نشأ؟، وما المراحل التي مرَّ بها؟ والأجناس البشرية.
٢. الجانب الاجتماعي: دراسة الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع وانه خلق العديد من الظواهر الاجتماعية وقام بإنشاء المجتمعات المختلفة، وكوّن العديد من النظم الاجتماعية سواء الاقتصادية أو السياسية أو الدينية أو القرابية، وكوّن العديد من العلاقات الاجتماعية وله بناء اجتماعي متميز من بقية الكائنات الحية.
٣. دراسة الإنسان باعتباره الكائن الوحيد الحامل (لثقافة) ولا يشاركه فيه أي كائن حي آخر مثل اللغة والعادات والتقاليد والقيم والأعراف والمعتقدات والفن وطرق التربية والتنشئة الاجتماعية وإمكانه أن ينقل خبراته من جيل إلى آخر.

ثانياً: هو ما تتميز به الانثروبولوجيا من العلوم الأخرى، وذلك بدراسة الإنسان من طريق الدراسة الحقلية الميدانية (Field study) فبينما يقوم المؤرخون في دراستهم معتمدين الوثائق القديمة والمستندات والمخطوطات وعلما النفس يقومون بإجراء بحوثهم في المعامل باستخدام الطرق التجريبية المختلفة ويعتمد علماء الاجتماع على سجلات التعداد والوسائل الأخرى، فبالقابل فان الصورة العامة للأنثروبولوجيا هي صورة الشخص الذي يحزم أمتعته ويحمل معه أجهزة التسجيل والمذكرات وآلات التصوير ويذهب بنفسه للإقامة مدة من الزمن في المجتمع الذي ينوي دراسته، لدراسة أنماط الحياة وخصائص الناس وأنماط سلوكهم وأساليبهم التكنولوجية.

ثالثاً: إن الكثير من التخصصات سواء العلوم البيولوجية أو الاجتماعية بها حاجة إلى مساعدة الانثروبولوجيين في جوانب معينة، وتستفيد من الانثروبولوجيا بحكم سمتها الميدانية في حل الكثير من مشكلات تلك العلوم في التعامل مع البشر ولا يكاد يوجد علم إلا وتشاركه الانثروبولوجيا اهتماماته.

هذا ولا يشترط على الانثروبولوجي ان يكون ملماً بكافة الجوانب والفروع بل لكل انثروبولوجي ميدان أو فرع مختص فالانثروبولوجيا فروع عديدة من أهمها: الأنثروبولوجيا الطبيعية، الانثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية والتي تقسم إلى الإثنوغرافيا والاثنولوجيا والاركيولوجيا واللغويات والانثروبولوجيا الحضارية والانثروبولوجيا القانونية والانثروبولوجيا الطبية وانثروبولوجيا الاتصال... الخ).

لذلك فالانثروبولوجيا هي علم يساعد على:

١. حل المشكلات الناتجة عن الإدارة والحكم المحلي في المجتمعات البدائية والبيضة.

٢. معالجة مشكلات التغيير الحضاري السريع والمساعدة على التكيف المناسب.

ومن الاتهامات التي اتهمت بها الأنثروبولوجيا عند نشأتها وازدهارها بأنها علم نشأ في أحضان المستعمر وبدعم منه لكي يخدم أغراضه الاستعمارية سواء أكان الاستعمار كلاسيكياً أم حديثاً.

ويرد هذا الاتهام -بموضوعية- جيرار ليكلرك في كتابه (الأنثروبولوجيا والاستعمار) انف الذكر من طريق دراسته العلاقة بين الأنثروبولوجيا والاستعمار منذ نشأتها فيخلص إلى: الهيمنة الاستعمارية والقوى الإمبريالية هي التي استغلت الأنثروبولوجيا في خدمة أغراضها.

ولما كان ميدان الأنثروبولوجيا في بداياتها المجتمعات «البدائية»<sup>(١)</sup> أو التقليدية والتي كانت ببساطة جميعها خاضعةً للاستعمار فلقد كان بعض الأنثروبولوجيين الأوائل يهدف دراستهم لتلك المجتمعات يعملون إلى جانب المستعمرين من حيث يعلمون أو لا يعلمون، وأن هذا التعامي لم يكتشفه علماء الأنثروبولوجيا إلا متأخراً خصوصاً مع البدايات الأولى لنشأة هذا العلم (٢٣:ص ٨).

ويمكن القول: إن الواقع الاستعماري قدم حقلاً للأنثروبولوجيا (مختبراً) تقيم فيه تجاربها وتحقق به من مفاهيمها، وبالمقابل يحصل الاستعمار على معلومات ميدانية تسهل عليه إدارة شؤونه وتضمن سيطرته على تلك المجتمعات (٢٣:ص ١١٣).

أما الأنثروبولوجيا المعاصرة فقد كان هدفها التخلص من الممارسات الاستعمارية لكن هذا لم يحدث إلا ببطء وهذا ما عمل عليه العديد من علماء الأنثروبولوجيا من

أمثال مالينوفسكي وليفي ستروس حين امتدح جاك بيرك ليفي ستروس «ذلك العالم الانثروبولوجي الذي فك ارتباطه بالاستعمار وأنه شكّل مفهومنا لما هو عقلي ومنطقي وكان أكثر عمقاً في إيضاح الغرض من الانثروبولوجيا بعيداً عن الممارسات الاستعمارية».

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية ازدهرت الانثروبولوجيا بصورة ملحوظة كما وازداد إقبال الحكومات المستعمرة كبريطانيا وأمريكا وفرنسا على استخدام الانثروبولوجيين في مراكز حسّاسة في وزارة الخارجية والبحرية والمواصلات والاستعلامات وقد حظيت الدراسات الانثروبولوجية بعناية الدول المستعمرة والتي لها مستعمرات لمعرفة النظم السياسية وأنظمة الحكم والأحوال الشخصية والمعيشية والنظم العائلية والمعاملات والطقوس والمراسيم الدينية والعادات والتصرف والتقاليد مما يساعد تلك الدول المستعمرة في تشكيل سياساتها وتلوين أنظمتها لحكم هذه الجماعات كي تظل في حالة ولائها وتبقى تحت سيطرتها، وقد استغلت البلدان المستعمرة الدراسات الانثروبولوجية سياسياً كما استغلتها اقتصادياً على اختلاف فترات نشأتها وتطورها وازدهارها علماً مستقلاً بعيداً عن الهيمنة الاستعمارية، وان هذا الفرع من الدراسة قد قدم خدمات إنسانية نبيلة إذ إنه أدى إلى رفع المستوى المعيشي لتلك الشعوب من طريق تزويدهم بوسائل العلم الحديثة والآلات المتقدمة ومساعدتهم في التقدم الحضاري بالإضافة إلى معالجة مشكلات التغيير الحضاري السريع والمتنوع وساعدت تلك الشعوب على التكيف المناسب (١٥: ص ٨١-٨٢).

والمعروف عن الانثروبولوجيا أيضاً احتضانها للمجتمعات القديمة البائدة والحديثة والمعاصرة وان هذا العلم يؤمن بالنظرة العلمية الشاملة التي تهتم بالزمان

القديم والحديث باعتبار الحاضر امتداداً للماضي، لذلك فالتنوع الذي تهتم به الانثروبولوجيا يشكل مادة علمية بالإضافة إلى النظرة الشمولية للإفادة من المعلومات والنتائج التي توصلت إليها في معالجة مشكلات الحاضر وعدم الاكتفاء بالتعمق في تراكيب الحضارات القديمة أو البدائية التي انشغل بها طيلة النصف الأول من القرن العشرين، وإن أعظم ما يميز الانثروبولوجيا من العلوم الأخرى هي طبيعتها المقارنة بدراسة آلاف الجماعات والمجتمعات البشرية في كافة القارات وعلى كل المستويات الحضارية، كل هذا جعل منه علماً مؤهلاً لتوفير الأطر المناسبة لفهم الواقع الإنساني فهماً علمياً غير متحيز وإن توجهاته الحديثة جعلته في مقدمة العلوم الأخرى في صد التيارات العنصرية والشوفينية والاستعمارية والرجعية للأخذ بيد الإنسان المقهور والدفاع عن حقوقه، وهو علم يوفر معلوماته ومناهجه للعلوم الاجتماعية والصرفة للإفادة منه أيضاً في التصدي لما يعينها من ظواهر (٢٥:ص٦).



## المحور الخامس

### الانثروبولوجيون والعولمة

بيّننا فيما مضى نشأة العلم واتجاهاته ومنطلقاته العلمية والنظرية، ولما كان ميدانه الأساسي هو المجتمعات البدائية أو المجتمعات البسيطة فقد كانت أغلبها واقعة تحت الممارسات الاستعمارية أو الاستعمار المباشر، وعندما تغيرت الايديولوجيا الاستعمارية وأصبحت تفكر ملياً في إعادة بناء هيكليتها وسياساتها وممارساتها الاستعمارية على غير ما كانت عليه في السابق سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، تمخض عن ذلك ولادة مصطلحات جديدة ومعاصرة وعلى شكل مراحل في حقب زمنية متعاقبة شغلت المفكرين والكتّاب والباحثين كالتمنية والتحضر والحدائثة وما بعد الحدائثة والعولمة، فكان لزاماً على الانثروبولوجيين خوض غمار هذه المصطلحات والوقوف على أبعادها ومدى تأثيرها على الواقع الإنساني.

لذا فقد انصب اهتمام الانثروبولوجيين على تغيرات اجتماعية معينة خصوصاً في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وذلك بعد خلق نظام (عصبة الأمم) والتي كان من موضوعات اهتمامها الشعوب التي تعرضت لحكم الاستعمار، وقد انبثقت من (ميثاق عصبة الأمم) التأكيد الذي جاء على أن «خير الشعوب التي لا تستطيع الوقوف على أقدامها، وتطورها هو أمانة معقدة في عنق المدنية» (٢٤: ص ٣١٧).

فظهرت الانثروبولوجيا بصورة واضحة فرعاً متخصصاً في منتصف الستينيات في المجتمعات المختلفة خاصة النامية وأجريت الكثير من الدراسات الانثروبولوجية

وبدأت الاهتمامات بدراسة الظواهر والمشكلات الحضرية وقد تناولت الكثير من المسائل الحضرية التي تهتم بها العلوم الأخرى مثل علم الاقتصاد والسياسة وعلم الاجتماع الحضري، وأصبح للأنثروبولوجيا دور متميز في هذا المجال، والتي كانت قبل ذلك إبان الحرب العالمية الثانية، ميادينها المهمة المجتمعات البسيطة والبدائية، لذا فقد تبلورت في هذه المرحلة الجديدة ضرورة إعادة تعريف الأنثروبولوجيا بأنه العلم الذي يهدف إلى «دراسة كل الشعوب على أنواع المواقف الاجتماعية والثقافية»، وأشار (لويد وارنر) «ان كل المجتمعات البشرية بدائية أو متحضرة بسيطة أو معقدة تعتبر موضوع دراسة الأنثروبولوجيا» (٢٦: ص ٣-ص ٤).

لقد ظهرت اتجاهات نظرية جديدة في القرن العشرين تعد نهاية عهد النظرية التطورية وما تلاها والتي تأثرت بها العلوم ومن بينها الأنثروبولوجيا، وبعدها ظهرت النظرية الوظيفية والتي سادت كل فروع العلم والتي تأثرت بها الأنثروبولوجيا تأثراً واضحاً حيث لا تبحث بالدرجة الأولى عن أصول النظم الاجتماعية ومعرفة مراحل تطورها - الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر - ولكن يتم التركيز على معرفة وضعها الراهن والوظائف التي تؤديها للحفاظ على شبكة البناء الاجتماعي من الانهيار (٢٢: ص ٢٧٩).

فالوظيفية على أساس هذه التغيرات النظرية والعلمية التي سادت العالم كان لا بد أن ينعكس أثرها على العلوم وميادينها ومن بين تلك العلوم الأنثروبولوجيا فقد زادت من اهتماماتها ووسعت من ميادينها وتفرع العلم إلى فروع اختلفت كل فرع منها بتناول قضايا ذات مساس بالواقع الحضاري المتغير للمجتمعات ومن الفروع المعاصرة أنثروبولوجيا الاتصال والأنثروبولوجيا الثقافية بالإضافة إلى الفروع التي ذكرناها سابقاً في طيات هذا البحث، فمن تلك المصطلحات والمفاهيم التي تتصل

بموضوع الاتصال وموضوع الثقافة والمجتمعات والتي تبتتها الانثروبولوجيا (الاتصال والاتصال الجماهيري ومواضيع التنمية والتنظيم والاتصال الثقافي والتغير الثقافي والاكتساب الثقافي والتخلف).

إن ما كتب عن هذه الموضوعة به حاجة إلى أفراد دراسة تحليلية خاصة، ولأن دراستنا هذه محددة بمحاور أخرى فسنتفي بتسليط الضوء على إسهامين أولهما محلي وهو ما قدمه الأستاذ الدكتور قيس النوري والثاني عالمي يتمثل بإسهام جيرار ليكرك بوصفه أبرز من راد هذه الموضوعة أنثروبولوجيا.

يرى الأستاذ النوري في كتابه الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة<sup>(٢)</sup> بان الانثروبولوجيا من الاتجاهات التي اكتسبت دعماً واهتماماً متزايداً في العقود الأربعة الأخيرة فقد تصاعدت الدراسات والبحوث الحضرية إذ توغل الانثروبولوجيون عالم المدن وازدادت رؤيتهم نضجاً وعلماً كما ازدادت قناعتهم بالمكاسب العلمية التي يمكن تحقيقها من الانعطاف على هذا العالم غير المألوف تقليدياً. إذ يركز الباحثون الانثروبولوجيون الحضريون على الوسائل والسبل التي من شأنها تذليل الصعوبات في بحث ظواهر الواقع الحضري بدلاً من الجدل الذي كان سائداً سابقاً حول إذا ما كان هذا الصنف أكثر ملاءمةً لعلم الإنسان، ووصل الانثروبولوجيون اليوم إلى إجماع على أن مشكلات الريف والمدن في العالم الثالث لا تقبل الفصل بحكم تنامي التداخل والارتباط بين هذين العالمين المتكافلين.

ويتناول أيضاً أبرز الإشكاليات والتعقيدات النظرية والمنهجية التي غالباً ما تخطر في أذهان الانثروبولوجيين عندما يثار موضوع المجتمع الحضري مقابل المجتمع الريفي، وقد عالج في كتابه الخلفيات التاريخية وإشكاليات التحضر وكيفية نشأة المدن وخصائص المدن ما قبل التصنيع التي تمثل الفترة الاستعمارية في أفريقيا وآسيا

حيث لمس الباحث درجات متباينة من التداخل بين تأثيرات الإدارات الاستعمارية وبواقي التراث القبلي والريفي، وإننا نعلم أن كثيراً من مدن العالم الثالث سبقت في وجودها الحملة الاستعمارية وتأثير التصنيع ولم تتغير إلا بدرجات محدودة من النواحي الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والمستجدات التي تولدت من اتصالها الحضاري بالحضارة الصناعية الغربية، وقد عالج أهم اتجاهات الصيرورة الحضرية مع استعراض لأبرز التحولات المقترنة بهذه الصيرورة، ومن الموضوعات التي طُرقت التوجه التجاري والنفعي الذي يزدهر مع تعاظم النزعة الحضرية وكرس أيضاً بعض مشكلات المدينة والتي تضمنت موضوع القيم وارتباطاته بمشكلات الواقع الحضري وخصص جزءاً من كتابه لتحليل قنوات وسياقات التحضر واختار موضوع السياحة بوصفها أحد أهم هذه القنوات حيث أظهر دورها في تقريب المسافات بين الشعوب وتذليل عقبات الاتصال الحضاري والعلمي والاجتماعي والاقتصادي والإيديولوجي، وكشف لنا أيضاً عن دور التمدن بوصفه انتشاراً حضارياً.

وقد اختتم كتابه بفصل خصص للعولمة وإشكاليات التحضر مبيناً مضامين العوالم ودلالاتها وحاول ربطها ببعض إشكاليات التحضر الريفي بالعالم الثالث وأهم معوقات التنظير الحضري في السياقات التي توحى بها العوالم ودرجة انطباق ذلك على مختلف جوانب الواقع الحضري والريفي في المجتمعات النامية كما ناقش العوالم وآفاق التحضر، وعلاقة العوالم وتعقيدات التعددية الإثنية في العالم الثالث، وعالج أيضاً دور الانثروبولوجيا وفرصها في تعزيز حركة العوالم من حيث ما تملكه من تراث عالمي ثقافي يتيح لها أفضل الفرص في تخطي عقبات التمركز العرقي والثقافي والكشف عن القواسم المشتركة التي توحد الجنس البشري على الرغم من اختلاف مستوياته الثقافية والتكنولوجية والعلمية فلعل العوالم تجد لها

في الانثروبولوجيا أفدر نصير ومفسر ومنظر في فتح آفاق التفاهم الإنسانية بحسب وجهة نظره.

لقد وضع الانثروبولوجيون نظرية (الأقاليم الثقافية) انطلاقاً من محدودية مدى حركة التفاعل والتواصل الثقافي على الأقل في الأزمنة القصيرة نسبياً حيث جرى تفاعل الشعوب والأمم عبر قرون طويلة في سياقات تقليدية اتخذت صبغ الانتشار والاتصال الثقافي والثقاف البطني في حدود إقليمية معينة، لكن تصاعد عمليات ووتائر التفاعل الجاري بين دول وشعوب العالم وتبادلها التأثير المباشر وتعاضم التكتلات وبرامج التعاون والتنمية الدولية المشتركة قد أدخلت العالم مرحلة جديدة لم تعد فيها المسافات الزمانية والمكانية تشكل عقبة تذكر في تواصلها، وفي هذا الواقع العالمي الجديد تجد الانثروبولوجيا نفسها أمام تحديات نظرية ومنهجية لا بد من مواجهتها لتجاوز القصور القائم في رؤاها وبرامجها السابقة فلم يعد بمقدور الانثروبولوجيا -كباقي العلوم الاجتماعية- تجاهل إشكاليات وشؤون العصر التي تضم حركات التحرر النسوي والمد الديمقراطي وتعاضم مسألة التعددية العرقية والاثنية، وانهيار الاشتراكية، وسرعة تبني نظام السوق وازدهار شبكة الانترنت وامتداد اتصال الأقمار الصناعية واتساع التسويق السياحي، والتي لا بد من بحثها وفهمها في إطار تقارب العالم واشتداد حاجته إلى التفكير بمشكلات الإنسانية على أساس مصيرها المشترك.

إن عالمنا اليوم قد بلغ نقطة افتراق تقع بين خيارين رئيسين: خيار التفكير المحلي كما تلميه اعتباراته الخاصة، وخيار التفكير العالمي الذي يدعو إلى رؤية المصالح والمشكلات المحلية في إطار ارتباطها بمشكلات العالم، فهنالك مثلاً الفجوة الاقتصادية والتكنولوجية بين أقطار جنوب الكرة الأرضية حيث الفقر والتخلف

وأقطار الشمال الصناعية الغنية المتقدمة، وهي تشغل عالمنا كله وليس أجزاءً منه، ومن ثم لا يمكن فصلها عن العولمة ولا عن دائرة اهتمامات الانثروبولوجيا. ولعل أقل ما يتوقع من الانثروبولوجيين أن يحاولوا تشخيص أهم تحولات القرن العشرين وما توحى به من اتجاهات ومؤشرات مستقبلية يمكن استشرافها قبل دخول القرن القادم.

ثم ناقش الأستاذ النوري أيضاً الانثروبولوجيا ومعادلة العولمة بالقول إن من أهم خصائص الانثروبولوجيا أنها تعنى بالإنسانية في العالم كله، لكن هذه البديهة المعلنة منذ ظهور هذا العلم لا تجرد هذا التخصص من اهتماماته المحلية، أي أن هذه الاهتمامات تشكل حجر الأساس في تراكم المعرفة الانثروبولوجية التي يكون أساسها البحوث الميدانية الإثنوغرافيا التي تركز على جماعات محلية صغيرة قد تكون قرى أو عشائر أو تجمعات سكانية في أشكالٍ أخرى. وعلى هذا فليس ثمة تناقض بين الهدف الذي يتطلع إليه علم الإنسان وهو فهم الإنسان فهماً علمياً مركباً ومتكاملاً في كل جوانبه وأبعاده، وبين الوسيلة التي يستخدمها هذا العلم في جمع المعلومات من شتى أصقاع العالم لتكوين الصورة العالمية المطلوبة عن ماضي الإنسان وحاضره وآفاق مستقبلية.

وقد أشار الكاتب إلى مدى التوازن بين الجانب الانثروبولوجي الذي يأخذ بالعولمة مبدأً وأساساً استراتيجياً وبين المحلية التي كان وما زال لها حضور في أنشطته واهتماماته البحثية والتنظيرية والتنموية. ويشير الكاتب إلى اهتمامات انثروبولوجيي العالم الثالث إذ يتركز كثير منها على شؤون أقطارها المحلية مما قد يحدث قدراً من اختلال التوازن بين الجانب العالمي والجانب المحلي لهذا العلم، ومن الملاحظ أن الأقطار النامية تركز جزءاً من كفاحتها لمعالجة مشاكلها المحلية التي تراكمت عبر

سنوات الاستعمار بل تحقيق التكامل والتناغم مع النظام العالمي الجديد الذي يحتل فيه الاقتصاد موقع الصدارة.

إن هناك آفاقاً واعدة في توسيع دور هذا الاختصاص في الأقطار النامية في سياقات التنمية والتحضر وما بعد الحداثة والعولمة معاً، ولا يخفى ان عالمنا المعاصر بلغة النظام العالمي الجديد يخضع إلى هيمنة الغرب، لاسيما (الأسرة الدولية) أو مجموعة الدول السبع تحت زعامة الولايات المتحدة الأمريكية، وفي بعض الأحيان قد نسمع من بعض دول المجموعة الأوربية تأييدها لتدخل الولايات المتحدة في شؤون الدول الأخرى وهي غالباً ما تكون من أقطار العالم الثالث. انه عالم التقنيات المتطورة المعتمدة على أسلحة الأضرار البعيدة والصواريخ الموجهة بعيدة المدى التي قلصت الحاجة لاستخدام الجيوش، وهو عالم الاتصال السريع والبريد الالكتروني وأقمار الفضاء والقنوات التلفزيونية ذات البث البعيد والهاتف المحمول، وفي الوقت نفسه انه عالم المجاعات والانتفاضات والإبادة العرقية والحروب الأهلية والتناحر الإثني والحركات الروحية المتطرفة.

أما (جيرار ليكلرك) صاحب كتاب الانثروبولوجيا والاستعمار<sup>(3)</sup> في عام ١٩٧٢. فيقدم لنا رؤية متميزة في مؤلفه المعنون بـ (العولمة الثقافية، الحضارات على المحك)، فقد ركز فيه على البعد الثقافي بعده إبرازاً لعلاقات تقارب بين مجتمعات مختلفة متباينة ومتصارعة، ويتساءل ألا يجدر بنا أن نرى بعد الآن في العلاقة الحميمة بين الشرق والغرب، بين الإسلام والمسيحية، بين أمريكا والصين، بين اليابان وأوروبا، فجر تاريخ جديد؟ وإذا كان الجواب إيجاباً فهل يكون هذا الاحتكاك حاملاً لـ (صدام حضارات) وقاتلاً؟ أو هل نعتبر المواجهة المسالمة تعبيراً عن بداية

إنسانية واعية لنفسها كلياً، وولادة حقيقية لنوع إنساني حدده الفلاسفة سابقاً بوصفه نوعاً حيوانياً وَهَبَ العقل والحس الاجتماعي بفطرتِهِ؟

ان ما يميز هذه الإطروحة أنه من الصعوبة بمكان فهم الخطابات المطروحة -سواء ل (ادوارد سعيد وميشال فوكو وهنتنغتون)- دونما أخذ الشروط التاريخية والجغرافية التي أنتجتها بعين الاعتبار، كانت الاثنولوجيا كما الاستشراق أول الأمر أداة بيد القوى الاستعمارية (فالمعرفة كانت (وتبقى) أحياناً أداة بيد السلطة)، ويبدو للكاتب مرةً بعد أخرى انه لا يمكن رد الاثنولوجيا إلى هذا الخطاب ذلك أنها أصبحت أو يمكن ان تصبح معرفة أصيلة، فإذا كان بمقدور العلوم الاجتماعية ان تستمد أصولها من الحالة التاريخية للسلطات ومن السلطة الإمبريالية والاستعمار وإذا كنا نجد في صلبها وفي أرشيفاتها القديمة بشكل خاص العديد من الأحكام المسبقة ومن المفاهيم الخاطئة والتصورات الوهمية ومن الإشكاليات التي تبدو لنا بعد الآن أيديولوجية، فمع ذلك يرى الباحث أنها تشكل المواد التي يجب على الباحثين في المستقبل استخدامها من اجل تطوير تاريخ عالمي أصيل وتطوير انثروبولوجيا حقيقية، وهو يعد كبار علماء الاثنولوجيا وكبار المستشرقين ممن كانوا لا يمارسون النهب الثقافي ولا كانوا خدام الإمبريالية برضاهم بل كانوا أيضاً وسطاء فعليين يمررون الثقافة ونقاط عبور ما بين الحضارات.

ويشير أيضاً إلى إمكانية فك الارتباط بين المعارف والسلطات، ومثال موضوعي وحيادي يمكن تصوره وبلوغه أحياناً وذلك بواسطة «أركيولوجيا» أو تأويل ممكن، أو بواسطة انثروبولوجيا عالمية وكوزموبولوتية عابرة للحضارات أو كونية بالقوة، ويورد لنا انه بإمكان النتائج الفكري عند كبار علماء الإسلاميات الأوربيين والأمريكيين، وبواسطة عمل يقوم على التقطيع وعلى إعادة التأويل، ان يتجاوز



هذا السياق القائم على التجزئة وان يصل إلى هدف إنساني كوني وعلمي وكان من جملة ما تطرق إليه الباحث وما توخاه هو إبراز مظهر لم يركز عليه مطولاً في العولمة أي إبراز بعدها الثقافي، ومن ثم الدور الذي لعبه الباحثون والمثقفون في بعض أجزاء من العالم الذي وجدوا فيه فقد كانوا وسطاء أو محررين، ولم يرتض وصفهم بحصان طروادة لثقافة الغرب، بل هم رواد عالمية تمثل استمراراً لأشكال السيطرة الثقافية الغربية، وليسوا تعبيراً ثقافياً عن كرة أرضية تمزقها حرب حضارات مسورة بخصوصيات هويات فاعلة على الصعيد العالمي وفي وسط المجموعات الحضارية الكبرى ما يمزق الكرة الأرضية بشكل لا شفاء منه.

والملاحظ على ليكراك - في هذا الطرح - بأنه ليس متشائماً ولا متفائلاً فهو لا يجهل التوترات التي خلفتها أحداث الحادي عشر من أيلول ولا ما أعقبها من نتائج عسكرية وإرهابية، ولا التيارات العلمية والتكنولوجية التي تترك مجالاً للأمل بالوصول إلى تسامح أكبر أساسه الفهم الأفضل لما يقوم بين الثقافات، ان التوتر بين الأصولية الإسلامية - المتطرفين الدينيين الذين يطلق عليهم في الغرب الأصولية - وبين القوى المعلمنة، هي بنظري من العناصر التي تسمح بفهم الدينامية التي تحرك العالم الحالي، وان المثقفين بوصفهم ثمرات (الحدائث) العقلانية وبوصفهم طبقة عالمية إلى حد ما أو طبقة عابرة للحضارات ولهم من المكان الصحيح الذي يسمح لهم بلعب دور الوسطاء من اجل تفاهم إنساني يجب بعد الآن تصوره على مستوى الكرة الأرضية.

ويستثنى من هذا الطرح حالة الشرق الأدنى لأن الحالة هناك لا تبدو متطابقة مع منطقي كهذا ولا تدعو للتفاؤل، ان الحروب تستعر هناك سواء كانت مستمرة كما في حالة الصراع (الفلسطيني - الإسرائيلي) أو سواء كانت نتيجة إستراتيجية

أو مناخ جيوسياسي أمريكي قائم، فهي من الأمور التي تعطي الحق لطرورات هتنتغتون وإدوار سعيد.

لهذا عندما نلاحظ هذا الحديث أنه: ليس حديث مستقبل بل حديث ماضٍ، والعمولة التي يتحدث عنها لا علاقة لها بعمولة الاقتصاد ولا بإنتاج الأسواق ولا بتوسع التجارة ولا سيطرة الاقتصاد ولا بخلق إمبراطوريات جديدة، بل يتطرق إلى العمولة من زاوية محددة بالثقافة والحضارة، فمن جملة ما قال إنها ليست بالأمر الطارئ أي أنها ليست بالجديد الذي أوجده الاتصالات أو رحابة رأس المال أو منظمة التجارة العالمية واكتساح الأسواق، العمولة هنا هي (شد الحبال ما بين الحضارات) واكتشاف حضارات لأخرى أو هي ذهاب حضارة لأخرى ومحاولة توطن نفسها في البلد الذي تذهب إليه والحضارة هنا هي مكونات دين وفن وعلوم وتقنيات وعادات وتقاليد وتوابل وحرير ومعدات عسكرية وبحث عن أسواق، العمولة إرث الجميع وأنها تقاسم أفكار تناوبت عليها الحضارات من مختلف مواقعها ومكانتها وجغرافيتها وتاريخها.

لقد تميز طرح ليكرك بتناوله تأريخ العلوم الذي يعنى بشأن تطور الحضارة وتحليلها، وحاول من خلال نظرتة -المذكورة سابقاً- إزالة سوء التفاهم الذي لحق بنمط الدراسات المعنية بهذا النوع من العلوم (كالإستشراق والأثنوبولوجيا والإثنوغرافيا ومقارنة الأديان وعلوم التفسير والتأويل).

وأشار إلى مرحلة السبق للدراسات الأوروبية في اكتشاف الكيفية التي التقت بها الحضارات مع الحضارات الوافدة إليها، معتبراً ذلك كله تمهيداً لتاريخ الحداثة وما أضيف إليها من سمة أمريكية واضحة بل طاغية الآن.

### ... الخاتمة ...

حاولت هذه الدراسة التعامل انثروبولوجياً مع مفهومين يقع عليهما الحظ الأوفر للمختصين بالسياسة أكثر من غيرهما إلى جانب إسهامات المختصين بمجالات أخرى هما الاستعمار والعولمة.

وإذا كان المفهوم الأول أقرب إلى السياسة بالتشارك مع ما يعاوضها من علوم ولا سيما في القرن المنصرم إلا أن مفهوم العولمة صار يشكل اهتماماً كبيراً من المختصين بدراسة التغير الاجتماعي والثقافي مما يحتم على الانثروبولوجيين ضرورة إخضاعه إلى أدواتهم بحكم بنائه على محور (هوية) الانثروبولوجية ومجال دراساتها الأساس وهو الثقافة Culture. وقد عرضت هذه الدراسة بعض الإسهامات في هذا المجال - النوعية منها والكمية - Quality and Quantity.

إن الدعوة إلى العمل على جعل العالم كلاً واحداً تُضرب بجذورها إلى أقدم الحضارات التي أسهمت في تغيير الواقع الإنساني كاليونانية والرومانية والفارسية والبابلية والفرعونية وغيرها وإذا كانت الحضارات القديمة قد اتخذت من الغزو العسكري والقوة وسيلة في تحقيق دعواتها، بغض النظر عن مبرراتها، فإن (تغيير العالم) وجعله (واحداً متكاملًا) بحسب دعوى القوى الداعمة لـ (العولمة) لم يبق للغزو العسكري خياراً من ميكانيزمات عديدة لتحقيقها.

ويلعب الاقتصاد دوراً كبيراً ممثلاً بالشركات العابرة للقارات بالتعاقد مع القوى السياسية العظمى التي تحاول شرعنة سياساتها بوساطة المنظمات الدولية

التي للتعامل مع الكيانات السياسية الممثلة بالدول ومن طريق قنوات التواصل الإعلامي والثقافي التي تؤثر في الشعوب فضلاً عن تأثيرها في قيادات القرارات ورئاساته الرسمية منها والشعبية منها بشكل مباشر أو غير مباشر.

ومن العسير التكهن بإمكانية تحقيق (عالم موحد) ثقافياً وسياسياً أو بعبارة أخرى عولمة الثقافات فما زال هناك الكثير مما لم تتضح معالمه بعد يمكن أن يكون مثابة يركن إليها.

١. يعني مصطلح (البدايي) الثقافة البسيطة وغير المعقدة، اذ ان الثقافة المتحضرة أو المتقدمة أو المتعدنة هي الثقافة المعقدة.
٢. ينظر بالتفصيل المصدر رقم (٢٦).
٣. ينظر بالتفصيل المصدر رقم (٢٧).

## المصادر والمراجع

١. د. محمد، عوض محمد، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، القاهرة، دار الكتاب العربي (١٩٥٣).
٢. التاريخ الحديث والمعاصر للوطن العربي تأليف مجموعة من الباحثين، جمهورية العراق وزارة التربية معاهد إعداد المعلمين والمعلمات، مطبعة الصفدي، الطبعة السادسة. (١٩٩٧)
٣. <http://www.4bac-educdz.com/+1089/-70k>
٤. سيمور، شارلوت، موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية، ترجمة مجموعة من الباحثين، مراجعة وإشراف محمد الجوهري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. (١٩٩٨)
٥. معلوم، حسين، التسوية في زمن العولمة التداعيات المستقبلية لخيار العرب الاستراتيجي، مركز البحوث العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع. (١٩٩٩)
٦. د. حجازي، احمد مجدي، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية- رؤية نقدية من العالم الثالث، مجلة عالم الفكر، العدد واحد، الكويت. (١٩٩٩)
٧. <http://www.Aljahidhiya.Asso.Dz/Revues/Tebyin-20/ Mostalaho-Elawalama. HTM>
٨. عتريس، طلال، تعقيب له في كتاب (العرب والعولمة)، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت. (١٩٩٨)
٩. <http://www.minshawi.com/other/globalization.htm>
١٠. د. الخضيري، محسن أحمد العولمة مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر ال (لا الدولة) الطبعة الأولى، مجموعة النيل العربية للنشر. (٢٠٠٠)
١١. الوالي، عبد الجليل كاظم، جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٢٧٥. (٢٠٠٢)
١٢. <http://www.islam.com/online.net/iOL-arabic/ mafaheemowalia/- II.asp>
١٣. تيتاوي، محي الدين، العولمة وتحديات الاختراق الثقافي، بيت الحكمة، بحوث ومناقشات ندوة بغداد، ١٤-١٦ نيسان، ج٦. (٢٠٠٢)
١٤. [www.grenc.com/alibrach/show-16/wyarkicLe.cfm?id:7](http://www.grenc.com/alibrach/show-16/wyarkicLe.cfm?id:7)
١٥. د. ناصر إبراهيم، الأنثروبولوجيا الثقافية، علم الإنسان الثقافي، عمان-الأردن. (١٩٨٥)
١٦. كوش دنيس، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة د. منير السعيداني،

٢٥. د. النوري قيس، المدخل إلى علم الإنسان، مطبعة الموصل، العراق. (١٩٨٣)
٢٦. د. النوري قيس، الأنثروبولوجيا الحضارية بين التقليد والعملة، الطبعة الأولى، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، اربد، الأردن (٢٠٠١).
٢٧. ليكلرك جيرار، العملة الثقافية الحضارات على المحك، ترجمة د. جورج كتورة، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، الجماهيرية العظمى (٢٠٠٤).
- المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى. (٢٠٠٧)
١٧. <http://www.Islamonline.net>
١٨. إحصاء منظمة اليونسكو، السنة ١٥ العددان ١٧٩-١٨٠. تموز-يوليو ٢٠٠٠.
١٩. يسين السيد، في مفهوم العملة، بحث منشور في العرب والعملة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت. (١٩٩٨)
٢٠. د. ناصر إبراهيم، العملة مقاومة واستثمار، مقال منشور بمجلة البيان، العدد ١٦٧. (٢٠٠٥)
٢١. الأحمد مالك، عملة الإعلام، مقال منشور بمجلة البيان، العدد ١٤٨، سنة ٢٠٠٠.
٢٢. د. عيد بدر يحيى مرسي، أصول علم الإنسان، الأنثروبولوجيا، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية. (٢٠٠٦)
٢٣. ليكلرك جيرار، الأنثروبولوجيا والاستعمار، ترجمة د. جورج كتورة، معهد الإنشاء العربي، الطبعة الأولى، بيروت. (١٩٨٢)
٢٤. مير لوسي، مقدمة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة وشرح د. شاكر مصطفى سليم، دائرة الشؤون الثقافية والنشر. (١٩٨٣)